# نحو المنهج في ثورة ثقافية عربية

بقلم وطاع صفدي

لو حاولنا ان نسال انفسنا : ماذا نقصد بثورة ثقافية عربية ، لذهب بنا الفكر بالتداعي مباشرة الى ما سمع وقيل وكتب عن ثورة « ماوتسي تونغ » الثقافية مع جيل الطلاب ضد بيروقراطية الدولة والحزب والبرجزة المتجددة . ولكننا اذا ما تنبهنا الى ان المراد هو ثورة ثقافية عربية ، لبدا لنا مباشرة فرق في المعنى ، معنى هذه الثورة ، وفرق في مضمونها ، ووسائلها ، ومبرراتها الفكرية والعملية، ولرأينا ان ثورة « ماو » انما هي ثورة تقع في سياق ثورة اكبر واشمل ، وهي التي تتحقق كذلك في اطار دولة ثورية ومجتمع متحول ، في حين ان الثورة الثقافية العربية المنشودة تفتقر الى ذلك الاطار الثوري الاشمل من دولة ومجتمع متحولين ، وانها بالتالي اقرب الى الشعار منها الى الوسيلة الواقعية للتحقق والتغيير .

ذلك ان المجتمع العربي ، المقسم الى نماذج متباينة متفاوتة من حالات الوجود العشائري ، وشبه المديني ، والمديني ، ومن اشكال النظام السياسي ، بدءا من العصبية العشائرية الى العصبيات الطائفية والاقليمية وصور تحققها تحت تصانيف الامارة والملكية والجمهورية الليبرالية والجمهورية الاشتراكية ، هذا المجتمع ليس هو في طور تحقق ثورة ايجابية شاملة ، على النمط الغربي ، او السوفياتي ، او الصيني ، وليس هو مؤطرا ضمن دولة موحدة توصف تحت صفة الرأسمالية او الاشتراكية .

وبالتالي ، فالثورة الثقافية العربية المنشودة لا يقصد منها تصحيح لثورة اشمل وتعميق لعلاقاتها الموضوعية ، واخصاب لانتاجها الحضاري التقدمي ، الا اذا فهمنا ان هذه الثورة الثقافية ، يراد منها تجديد دم الانظمة الثورية العربية ، وتعميق اصولها . وهذا يعني ان نتوجه الى حصر ساحة هذه الثورة الثقافية ضمن الاقاليم ذات الاشكال السياسية التي تصنف ذاتها تحت الشعارات التقدمية ، من اشتراكية ووحدوية وشعبية وسواها ، ومن هنا كان لا بد للباحث من اعتبار الشروط الثورية التي تحدد الواقع العربي المعاصر ، هو موضوع الاهتمام والتحليل الرئيسي .

كذلك يقوم امامنا هذا الفارق الكبير في النوع ما بين تجاربنا الثورية ودولة الثورة الصينية ، صاحبة التجربة الجديدة في الثورة الثقافية . انه الفرق ما بين الثورة السياسية والثورة الكيانية الشاملة .

فالثورة الفوقية تغيير في رموز السلطة وادوات تحققها ، والثورة الكيانية تغيير في البنية التاريخية للمجتمع .

وفي مجال الثورة الثقافية الصينية يمكن التحدث عن ثوير للثورة التاريخية ، من اجل جعلها اكثر تاريخية ، اي اكثر جذرية وشمولية واستجابة في ايجاد الصيغ لتحول العلاقات البشرية والمادية في مختلف قطاعات القيادة والفكر والعمل ، وتحرير العمل الفردي والجماعي من اشباح قانون الاستغلال ، مهما كان عنوان هذا الاستغلال تحت بوارق الشعارات السياسية والاقتصادية والايديولوجية .

فالثورة الثقافية كما وردتنا تجربتها الاولى من الصين ، ليست سوى حركة تطهير داخل ثورة اشمل ، وهذا التطهير يتوجه بالدرجة الاولى الى اساس امراض الثورات كلها، وهو مرض البيروقراطية الذي تقع فيه الثورة عندما تتحول من طور الكفاح السلبي ، الى طور الحكم والتزام السلطة .

ولقد تكون الثورة الثقافية مجرد تطوير صيني لمبدأ النقد الذاتي المعروف ، وجعله ممارسة ثورية شاملة ، لا تكتفي بالتبرير ، ولا تقف عند حدود النقد النظري ، ولا تتناول سلوكا معينا واشخاصا محدودين ، ولكنها تتوجه الى بنية الثورة ككل ، لتعمل فيها تغييرا في الفكر والممارسة ، والعلاقات السلطوية والانتاجية وسواها .

ولكن المتشككين بقيمة هذه التجربة الغريبة ، يتهمون السلطة الصينية العليا بتدبيرها مع القاعدة الطلابية لنسف الكادرات الحزبية والحكومية المعارضة لاتجاه تلك السلطة العليا ، وبالتالي لا يرون في هذه الظاهرة ، التي هزت كيان اكبر ثاني تجربتين اشتراكيتين في التاريخ المعاصر ، الا مجرد صيغة صينية للصراع على السلطة ضمن دولة تحكم بنظام الحزب الواحد .

ومهما يكن من امر ، فان مثل هذه الظاهرة التي استطاعت ان تحرك قوى الثورة الصينية في مختلف قطاعاتها ، وتوجهها نحو اعادة صياغة الهياكل الاساسية للمجتمع ، لا يمكن ان تقتصر في تبريرها على مبدأ صراع السلطة في رأس الهرم السياسي ، ولا بد ان تكون لها اسباب اكثر موضوعية واعمق جذرية ، ناجمة عن جدلية الثورة الصينية وظروفها التاريخية الداخلية والخارجية .

ومن ناحية اخرى فانه من السابق لاوانه التكهن منذ الان بنتائج الثورة الثقافية في اشتراكية ماوتسي تونغ وآثارها الفعالة على مجمل التجربة الصينية ، وما لم تتضح بوادر هذه النتائج ، والآثار على الاقل ، فمن الصعب الجزم في تحديد الاسباب الحقيقية الدافعة لممارسة الثورة الثقافية ، وتعيين نسبة الناحية الذاتية والناحية الموضوعية من هذه الاسباب .

***

فاذا انتقلنا الان الى مجال ما يمكن ان يقال عن ثورة ثقافية ضمن سياق الثورية العربية ككل ، كان علينا ان ننتبه اولا الى ان ثمة مستويات عديدة للبحث ، تبدأ بالمستوى الاقرب الى المعاناة اليومية ، وهو تقييم مجمل الثورات العربية السابقة ، كتجارب حزبية وتجارب حكم ، ثم نصل الى مستوى اعمق ، ويتناول البنية الحضارية للمجتمع العربي وعلاقته الانسانية بتحديات العالم الحضاري من حوله ، وننتقل بعد ذلك الى مشكلة التكون العقلي للانسان العربي ، وهو الهدف الاصلي للثورة الثقافية المنشودة .

اما النوع الاول من المشكلات المرتبطة بتقييم الثورات العربية كتجارب حزبية وتجارب حكم ، فلقد غصت الساحة الاعلامية بنماذج كثيرة عن هذا التقييم خاصة بعد مرحلة الهزيمة . ومع ذلك فلقد بقيت هذه النماذج جزئية وعابرة ، ومنطلقة غالبا من مواقف ذاتية عاطفية ، ولم تصدر المحاولة التقييمية الجادة حتى الان ، والمنزهة عن اسلوب الطعن والمزايدة ، واسلوب التجريح والنقد الفئوي لغايات سياسية خاصة .

وبقي اهتمام النقاد منصبا على موقف واحد يطالب بالاستبدال ، كان الثورات اشبه بالاثواب نبدلها مع اختلاف الطقس والحالة النفسية التي نمر بها .

ان هذا الموقف يمت في الواقع الى الجذر نفسه الذي بنيت عليه عقلية الثورات التي يراد استبدالها بثورات اخرى . وهو الموقف الطفولي الذي يستهلك لعبة ، ثم يطالب بلعبة اخرى ، كانما لا وجود لقوانين اجتماعية او تاريخية تتحكم في ظروف التغيير ، وكانما العالم يمكن ان تغيره ارادة كن فيكون ، على الطريقة الميتافيزيقية والسحرية المعهودة .

ان نزعة الاستبدال هذه كانت تحرك دائما مختلف قوانا السياسية ، وتتوجه دائما الى استبدال رموز الاوضاع ، دون ان تصل الى ادراك ماهية الاوضاع ومواجهة عقباتها الحقيقية .

وكانت قوانا السياسية ، المسوقة بنزعة الاستبدال هذه ، لا ترى من رموز الاوضاع الا اقربها الى الصورة اليومية ، وابعدها بالتالي عن بنية الواقع غير المرئي المتغلغل وراء الظاهرات المباشرة ، والذي تتحكم فيه قوانين موضوعية لا يعترف بها احد ، وان كان ترديد شعار الموضوعية اصبح اشبه بالمفتاح السحري لكل منشور سياسي .

ولقد انصبت نزعة الاستبدال هذه دائما على تغيير القمم السياسية ، والاطارات القيادية المباشرة ، واكتشفت من رموز الاوضاع باسماء البشر ، افرادا وجماعات .

فدخل عصر الثورة العربية ، من حيث لا يدري اصحابه ، في عصر الركود السابقة عليه . وما هو عصر الركود ، ان لم يكن الاستبدال في رموز الاوضاع مع استمرار الاوضاع ؟ ان استبدال الخلفاء العباسيين في اواخر عهد الدولة العباسية ، بالقتل والاغتيال والتآمر ، ما كان ليغير شيئا من حتمية قوانين الانهيار التي كانت تستبد بتلك المرحلة ، وتقود الدولة العربية آنذاك الى نهايتها .

وبالرغم من ان نزعة الاستبدال اليوم تقنع نفسها بالفاظ ايديولوجية مختلفة ، فانها تستطيع ان تكتشف فعلا حقيقة ذاتها ، وليس حقيقة ما تريد ان تستبدله . فهي عاجزة عن تحليل ما هو قائم ، ولذلك تدعو الى ما يجب ان يكون ، اي انها تنطلق من حكم اخلاقي على واقع لتدعو الى قيمة اخلاقية غير واقعية ، لانها لم توجد بعد . ولذلك فهي تاخذ دائما طبيعة التبشير ، لتخفي مضمون الركود في فكرها ووسائلها . ومن هنا كانت فعالية اللغة هي سيدة الساحة دائما ، بمعنى ان ظاهرة الاستبدال بحاجة دائما الى ممارسة اساليب الكلام ، لتبرر عملية طرح رموز قديمة وتجسيد رموز جديدة ، واستبدال الالفاظ بالالفاظ يوازي عملية استبدال رموز اوضاع برموز اخرى ، مع استمرار الاوضاع .

ان ظاهرة الاستبدال حين تستخدم النقد باصطلاحه الايديولوجي ، فهي تمارس اللغة ، ولا تمارس الواقع . وهي عندما تنجح في استبدال رمز شخصي ، فانما تفعل ذلك وكانها تغير في اداة التعبير ، ولا تغير من مضمون التعبير . فان عزل اللغة عن حقائق المواقف ، يشابه عزل الاشخاص عن مؤسسات الواقع .

وهذا ينقلنا الى معالجة المستوى الثاني للثورة الثقافية ، والذي حددناه بمستوى البنية الحضارية للمجتمع العربي وعلاقته الانسانية بتحديات العالم الحضاري من حوله .

***

قبل كل شيء نقول ان دليلنا الى معالجة هذا الموضوع هو تحليل دور اللغة في بنية الحضارة العربية . ذلك ان الحضارات السابقة على ظهور العالم المادي ، يمكن ان تصنف جميعها في مرتبة الحضارات ذات الطبيعة اللغوية في صلتها بالعالم . فمنذ ان انطلقت الدراسات المعاصرة في الفلسفة اللغوية وربطها بمواقف المجتمع الانساني من قضاياه الايديولوجية وشؤون ممارساته الاخلاقية والمادية ، على يد فلاسفة وعلماء اجتماع حديثي الرؤية الفكرية من امثال ( ليفي ستروس) و ( ميشيل فوكو ) فيما يدعى بالفلسفة البنيوية ( نسبة للبنية Structure ) ، فلقد اصبح النظر الى اللغة يتعدى الدلالات المعجمية ، الى الدلالات البنيوية عن علاقة فكر المجتمع باشكال الممارسة ، من خلال الانتاج الحضاري ، والطقوس الدينية والعادات الاخلاقية ، ومختلف ادوات التاثير والتبادل بين الصيغة الاجتماعية لوجود الشعب او القبيلة ، وبين الطبيعة الخام من حولها . ولعل من اهم نتائج هذه الابحاث نفي الوجود المستقل للمعنى او للفظ ، واعتبار العبارة اللفظية صيغة وجود ، لا تكفي ترجمتها المعجمية لفهمها ، بل لا بد من النظر اليها كوحدة ممارسة انسانية تمتزج فيها علاقة الانسان بالعالم وتكون ثمة موقفا له دلالة . وهذه الدلالة لا يمكن ان تفهم الا بردها الى سياق الصيغ الاشمل للممارسات الحضارية التي تميز وجود شعب في حقبة تاريخية معينة .

ومن الواضح ان ( اشبنغلر ) في كتابه ( افول الغرب ) كان من اوائل الذين وصفوا حضارة شرقي المتوسط بالصفة السحرية ، لغلبة اللفظ على ممارسته ، بصورة يصبح اللفظ معها ذا قدرة ميتافيزيقية على خلق ظروف نفسية لدى الفرد ، وممارسات موضوعية لدى الجماعة . وبقدر ما تكون اللغة اقرب الى ايقاع الظرف النفسي المناسب للحروف والمقاطع والالفاظ والجمل ، بقدر ما يقوى الايحاء السحري فيها . وهذا ما ابرزه نيتشه في كتابه عن ( اصل المأساة ) ، اذ اعتبر ان النظم السحري للحوار المسرحي يستخدم وظيفة الايحاء الديني ، كما في جوقات المسرح اليوناني ، التي تناظر جوقات الرهبان في المعابد ، والجوقات المسيحية فيما بعد .

ولكن الدراسات البنيوية لاهمية العوامل التاثيرية في اللغة ، في ايامنا هذه ، قد استطاعت ان تكشف عمق الوحدة بين سياق اللغة وسياق الممارسة الفردية والاجتماعية ، وجعل الاولى اشمل دلالة من دلالة المعنى ، شرط ان تفهم اللغة هنا لا من حيث انها مجموعة الفاظ وقواعد للتعبير والكتابة ، بل وجود للفكر الاجتماعي وهو في حال الاحتكاك اليومي مع ادوات الوجود الحضاري عبر المجال المادي ومجال العلاقات الانسانية . ولقد كشفت الدراسات الانتربولوجية الحديثة الموجهة بمناهج المدرسة البنيوية ، كشفت ذلك الفاصل الذي يحصر القبيلة الابتدائية ضمن صيغها اللغوية السحرية ، ويحدد علاقتها بالعالم المادي من خلال اوهام الصيغ اللغوية ، المشتقة كلها من الموقف السحري من ظواهر الطبيعة . وبالمقابل فحين تتضاءل استطاعة المجتمع على استخدام ادوات مادية قادرة على تغيير المادة الخارجية ، فان رصيده من البنيات اللغوية ذات المنحى السحري يتعاظم حتى يصبح تعامل الانسان مع الكلمات اشبه بتعامله مع الاشياء . ولقد ابرز ميشيل فوكو في كتابه الاخير ( اثريات الثقافة ) كيف ان مثل هذا الوضع لا يخص الشعوب الابتدائية وحدها ، ولكنه مرتبط بثقافة غنية كالثقافة

الغربية ذاتها ، التي طفت فيها نزعة التعامل مع الكلمات من خلال تراث الفلسفة التأملية ، على التعامل مع الاشياء ، وهي في براءتها الخاصة ، وهو يقصد طبعا مراحل تلك الثقافة السابقة على تعاظم المؤسسة العلمية ، ومجالها الرحب من تنويع ادوات الصلة والتغيير في المادة ، وفي بنى العلاقات الانسانية ذاتها .

حتى ان مفكرا كبيرا من رواد الفلسفة اللغوية في انكلترا وهو ( نوام شومسكي ) رأى من ناحية اخرى ان في التوحيد ما بين وسائل العمل والعمليات اللغوية بصورة آلية كما لدى اصحاب التطبيق الذرائعي للمدرسة الاميركية ، واعتبار ان العمليات الفكرية السابقة على التعبير اللفظي الصوتي ، ما هي الا عادات مكتسبة لتوجيه الخبرات العملية ، رأى في هذا الموقف تطرفا يقابل التطرف الذي تعطيه الفلسفات التأملية لاستقلالية المعنى . واعتبر ان التطبيق الذرائعي على اللغة يفقدها فعالية الخلق ، والدفع الى تكوين خبرات جديدة ذات مساق موحد مع الممارسة الفردية والاجتماعية ، ويجردها عن وظيفة الكشف العلمي والاحياء الفني ، والتوجيه الايديولوجي . (١)

فالثورة التي احدثتها هذه الفلسفات اللغوية الجديدة ترتكز الى اعتبار ان الكلام الانساني ليس واسطة بين الاشياء والفكر ، ولكنه هو ذاته الصيغة الاشمل التي تستوعب مختلف صيغ الممارسة الحضارية وان دراسة هذه الصيغ وتحليلها في سياقها اللفظي ، وفي جذورها الفكرية ، وفي ادواتها المختلفة من الرموز والاصطلاحات ، والسياقات الايقاعية ، تؤدي الى معرفة اعمق للثقافة او للحضارة .

واذا حاولنا الآن على ضوء مثل هذه المنطلقات مواجهة مشكلة الاسر اللفظي او اللغوي لفعالية الحضارة العربية ، وجدنا ان اساس الثورة الثقافية يجب ان يبدأ من هذه المواجهة . ذلك ان الفعالية الحضارية للامة العربية قد اختصرتها ثقافة الالفاظ ، حتى وقعت الثورات السياسية المعاصرة في وهم الاستبدال لرموز الاوضاع ،وهي تستبدل في الوقت ذاته منظومة من الالفاظ بمنظومة اخرى .

ان يقظة العالم الثالث ، وليس الامة العربية وحدها ، مهددة بالوقوع فيما يدعوه ( ماكلوهان ) بأوهام المرحلة الابجدية . وهي المرحلة المتوسطة ما بين سيطرة الكتلة ـ الوسيط ( Nass-Media ) القائمة على استخدام وسائط الحواس بشكل متوازن ومرتبط مباشرة بالمحسومات الطبيعية ، وما بين مرحلة الوسائط العينية القائمة على حس النظر كالسينما والتلفزيون والاعلان المكتوب ، اي ان مرحلة المطبوع كوسيط اساسي لتوحيد فكر الكتلة ، سواء كان هذا المطبوع مقروئا او مسموعا ، هي المرحلة التي تمر بها شعوب العالم الثالث ، وفيها تصبح وسيلة المشاركة الجماعية هي اللفظة وليس مضمونها (٢) .

يقول ماكلوهان من خلال موقفه الفكري الطريف والعميق ان اهم العوامل التي أثرت في اعطاء الصفة الجماعية للمجتمعات كانت طبيعة وسائط المشاركة ، اكثر مما كانت طبيعة مضامين هذه الوسائط .

ان قيادة المجتمع المتخلف الركودي عن طريق اللفظ مكتوبا او مسموعا ، قد تركزت اصولها اكثر باستخدام وسائل الاعلام المجلوبة من مجتمعات تجاوزت مرحلة الوسائط اللفظية الى مرحلة الانقياد بوسائط الرؤية بالصورة والشكل والفعل المصور ، وهذا ما يفسر لنا انتشار اجهزة المذياع والترانزيستور بصورة كمية هائلة عبر البوادي والسهول والمدن والجبال . ويمكننا ان ندرك خطورة هذه الواسطة عندما تكون اللغة المتلفظ بها هي تلك الارومة ذات الطابع الصوتي والايقاعي المسيطر كاللغة العربية . واذ تأخذ الفاظ اللغة سياق الكلمات الجذرية الكبيرة ، فانها تنشيء سياقا ايديولوجيا يشبه الدين المتجدد ، وكما يقول ( لوسيان سباغ ) حول كتابه عن ( الماركسية والبنيوية ) ان شعوب العالم الثالث عندما تعتنق الماركسية ، فكأنها تعتنق اديانها القديمة باسماء جديدة (٢) .

وليس من شك في ان جعل وسائط المشاركة من ابجدية او سمعية بصرية ، قادرة على تكييف الوجود الاجتماعي فكرا وممارسة وعلاقة مادية وقيمية ، هو اشبه باستبدال للمبدأ الماركسي الاصلي ، القائل بان تطور ادوات الانتاج يحدد العلاقات الاجتماعية والطبقية . فكأن وسائط المشاركة الموجهة للكتل الاجتماعية ، هي اليوم اهم من طبيعة ادوات الانتاج والعلاقات الاجتماعية ، من حيث قدرتها على صياغة نماذج الكتل البشرية عقليا وعمليا بصورة متجانسة، لااختلاف بين وحداتها ، لا بالكيف ولا بالممارسة . ان توحيد صورة العالم هو هدف الامبريالية الاعلامية اليوم . واذا كانت شعوب التكنولوجيا المتقدمة قد خضعت لوحدة النمطية في الفكر والممارسة وصور العلاقات والعادات اليومية ، وساهمت الوسائط الكتلوية الناقلة ، بصريا وسمعيا ، في فرض هذه النمطية ، فان شعوب العالم الثالث التي لم تدخل بعد عصر التكنولوجيا ، ما زالت تتابع خضوعها لنمطية الركود ، التي تعززها نمطية وسائل الاعتقاد بقوى الالفاظ المسموعة المكتوبة ، المنقولة خاصة من مراكز التراث ، ومراكز التحريض الحديث عن التغيير شكليا ، من خلال فعالية الاستبدال .

* * *

ان اللفظة ـ القوة حلت محل الفكرة ـ القوة . وفي حين ان الفكرة ـ القوة قادرة على تغيير الزاوية الاساسية لعلاقة المجتمع بذاته وبالطبيعة من حوله ، فان اللفظة ـ القوة تكرس عزلة المجتمع عن الاشياء . وبالتالي تأخذ هذه الالفاظ سياق الايقاع الترتيلي الديني فتساهم في سلبية العقل امام تحديات الظروف الموضوعية . وهكذا في حين ان ايديولوجيات الانظمة الاجتماعية ذات الارتباط العضوي بالتقدم التكنولوجي ، تريد ان تفرق كتل شعوبها في نمطية رد الفعل الواحد المتجانس على المحرضات المنظمة من قبل وسائط المشاركة السمعية البصرية ، فان ايديولوجيات المجتمعات الركودية تسعى الى طمس فعالية المحرضات الخارجية ، وتكرار لفظياتها للابقاء على نمطية الركود السابقة ، للكتل السادرة في بحران الالفاظ ذات القوى الميتافيزيقية .

ولكن نمطية السلوك الكتلوي لدى المجتمع المتخلف ، تتباين عن مثيلتها لدى المجتمع التكنولوجي ، في ان الاولى ترتكز الى ادوات الالفاظ ، في حين ان الثانية ترتكز الى ادوات التكنولوجيا .

وبذلك فليس الحل في استبدال اللفظ باداتية التكنولوجيا بل في تغيير طبيعة العلاقة بالاداة ذاتها مهما كان نوعها . وهذا هو القاسم المشترك بين نمطية التخلف ونمطية التبعية لعبودية التكنولوجيا وهو ما يعطي صورة متجانسة لوضعية الانسانية كلها في ظروف الانسلاب الحاضر .

فما الذي يجعلنا نخرج اذن من هذه الحلقة المفرغة ؟ ان نقد الالفاظ بالفاظ اخرى لا يتناول تعديلا في طبيعة الاشياء التي تسميها هذه الالفاظ . ولو دققنا في اللفظ المستعمل ، لوجدنا انه يحيل الى لفظ آخر ، واللفظ الاخر يحيل الى لفظ ثالث . وفي حالة النمطية التي تولدها اداتية هذه الالفاظ ، فانه من العبث مثلا ان نستخدم مصطلحات النقد الثوري ضد ثبوتيات الميتافيزيقا الدينية، او ميتافيزيقا الاقطاع السياسي والاقطاع الاجتماعي . ذلك ان غياب العلاقة مع الاشياء ، مع مؤسسات المجتمع الفعلية وجذورها ، يجعل جميع الالفاظ المتداولة في التعبير محملة بذات النمطية من الميتافيزيقا ، حتى لو كانت الالفاظ متناقضة المعاني المستقلة ، كأن تكون معاني للرجعية واخرى للتقدمية . ذلك ان اقامة منظومة من الافكار ، انما هي في الحقيقة اقامة منظومة من الالفاظ . والالفاظ لا توجد . في حين ان الموجود هو المؤسسة ، ولكي يتحول اللفظ

---

١ ـ انظر خاصة كتابه : Nature formelle du langage

٢ ـ انظر كتابي ماكلوهان : Pour comprendre les mdia و Message et massage

( ١ ) Marxisme et structuralisme

الى مؤسسة ينبغي ان يكون قادرا على بناء عمل . ولكن الالفاظ لا تبني أعمالا ، وانما تبني الفاظا . ومن هنا وجب اذن العودة الى سياق الممارسة . فالموجود وحده هو الذي يمارس ، ولو كان هذا الموجود من النوع النمطي . بل ان كل موجود هو نمطي . وبالتالي فالنمطية هي مؤسسة المؤسسات كلها . وحتى تتغير ، لا بد من تفجيرها من داخلها ، اي بكسر جذور النمطية ،فالايديولوجية الرجعية من أديان وأخلاقيات ومبررات فوقية مختلفة للانقسامات الطبقية والكتلوية والسياسية وسواها ، ليست هي الموجودة فعلا ، ولكن الموجود هو ممارساتها اليومية من خلال مؤسسات الواقع المادي ، وانماط التعامل ما بين الناس ، وبين الناس والاشياء .

وفي مثل ظروف سيادة النمطية المنعكسة عن مؤسسات الركود في المجتمع العربي ، فان اثبات وجود الله بالالفاظ مثلا يعادل انكار وجوده . وكلا العمليتين تعتبران من البنى الفوقية ، بالرغم من ان عنوان الاولى رجعي ، والاخر تقدمي . وعلى هذا المثال ، يمكن ان نكتشف بكل سهولة ان تناقض نظام سياسي رجعي مع نظام سياسي تقدمي عن طريق وسائل الاعلام لا يغير من وحدة جذور النظامين في أرضية المجتمع الركودي . بل ان المستمر والموجود دائما هو نمطية الركود . وما يناقض الركود هو تفجير مؤسساته الجامدة بمؤسسات العمل المبني على تغيير الاشياء . ومن صلب تغيير الاشياء قدرة اللفظ ذاته على ان يصبح شيئا .

ان الفلسفات الثورية تصبح نوعا من الاعلام عندما ترمى للتداول وتفقد قدرتها على التماس مع الاشياء وتفجير المؤسسات . وهذا ما يفسر ظاهرة استبدال نظرية ثورية بنظرية ثورية اخرى ،وتعايش النظريات الثورية مع نمطيات الممارسة الرجعية في آن واحد ، دون حدوث صراع متفجر بينهما ، اذ ان هذه النظريات التي تأتي الى المجتمع الركودي ، بشكل منظومة من المعاني المستقلة ، لاتلبث حتى تتحول الى مجموعة ألفاظ ، وبالتالي يسهل استعمالها كنمط جديد، اي كشكل لفظي لمحتوى الآلية الفكرية التقليدية السائدة ، في عقل المجتمع وعمله .

وكذلك فان اجتهاد الفئات الثورية باعلان عناوينها الايديولوجية لتمييز منظماتها عن بعضها بعضا ، لا يمكن ان يحدث فعلا تمييزا واقعيا فيما بينها . ولكن الالحاح على وجود الايديولوجية المتمايزة ، انما هو استخدام الالفاظ المستجدة لتبرير نمطية اساسية في بنية المجتمع الركودي ، وهي استخدام منظومات الالفاظ بمعزل عن منظومات الاشياء والمؤسسات . ولذلك تتحول هذه المنظومات اللفظية ، بالرغم من انتماءاتها لمختلف ادومات الفكر الثوري ، تتحول الى صيغة الكتلة الواسعة .

وهكذا فان الامبريالية العالمية نفسها اصبحت تستخدم حتى شعارات الفكر الثوري لتعزيز النمطية الركودية عن طريق التعميم الاعلامي ، الى درجة سطيح المنظومة الفكرية ، وتجريدها من محتواها، وتكريس لفظيتها ، حتى تصبح قوالب نملأ بمضمون الآلية النمطية ، وتتساوى اخيرا مع منظمات الواقع النمطي ، ولا نصطدم مع مبرراته وقيمه ومقاييسه المسيطرة على الممارسة الالية لدى الجماعات الغفل .

فلقد صار امرا مألوفا على الصعيد العالمي تعايش الايديولوجيات التقدمية والرجعية ، كما صار مألوفا كذلك على صعيد العالم الثالث تجاور أنظمة الاقطاع السياسي وشيوع الاعلام الثوري ، وغدا من السهل دائما تجويف الالفاظ من أفكارها الاساسية ، عن طريق عزلها عن الحوار مع مؤسسات الواقع الاجتماعي ، وتحويلها بالتالي الى اداة جديدة لتعزيز نمطية قديمة ، تسمح باستمرار طرح الحلول القديمة على المشكلات المستجدة ، واغلاق خط التطور الصاعد ، في دائرة مفرغة من الدوران حول الذات القديمة .

ان أخطر مايواجه المجتمعات التي تتهيأ فيها الظروف الموضوعية لتحقيق ثورة تقدمية حقيقية ، هو طمس ظروفها الموضوعية تلك بحشرها تحت التعميمات الواردة من المنظومات الفكرية ، بهدف جعل هذه الظروف متطابقة مع التعميمات ، في حين ان نكسات هذه المجتمعات قد برهنت على ان نتائج هذه العملية كانت تؤدي دائما الى تجريد ظروف الثورة عن قواها التغييرية الفعلية ، واصطناع بديل عنها بقوى الالفاظ المستقلة ، لمجرد ان هذه الالفاظ تنتمي الى معجم الايديولوجيات الثورية . وكان من عماء بعض الطلائع الثورية حقا في العالم الثالث ، استخدام الالفاظ واهمال الاشياء . فلم تكن الايديولوجيات دليل رؤية وتحليل للاشياء ، ولكنها كانت غطاء تعميميا ينشر فوق خصائصها ، ويطمس قواها الفعلية ، فلا يكشف فيها عن امكانيات التفجر ، ولا يكشف فيها عن عقبابها الموضوعية ، ولا يقاس مدى قدرتها على التحول او النكوس ، وبالتالي يعجز الثوريون حقا عن التعامل مع الاشياء ، وبناء استراتيجية لهذا التعامل ، ضمن عقلانية علمية قادرة على ابطال مفعول آليات النمطية المنبثة في مجال تحركهم الاجتماعية ، والمبطنة لعقولهم وارادانهم ، بحكم انتمائهم الى نمطية الركود في مجتمعهم ، ونمطية الاعلام العصري في المجتمع العالمي ، المقود بالوسائل الكتلوية التكنولوجية .

هكذا نستطيع مثلا تفسير ظاهرة انتشار اشكال اليساريات الفوضوية في العالم عن طريق وسائط الاعلام والتعميم الجماهيري التابعة لمراكز التجارة الرأسمالية العالمية نفسها . فالاسطوانات والكتب والمجلات والملابس وتنظيم الرحلات وبيع الاعلانات والصور، المملوءة بالشعارات اليسارية نفسها ، انما هي بضائع استهلاكية جديدة ، خلقت دما جديدا في عروق الصناعة الراسمالية المعاصرة.

وفي مجتمعات العالم الثالث من السهل هضم اليساريات واستهلاكها من خلال نزعة تعميم المظاهر المعاصرة لدى الفئات شبه المثقفة . اذ تبحث هذه الفئات عما يجعلها تطمس انتماءها في عين ذاتها وفي الاعين الاخرين ، الى ادومة المجتمع المتخلف ، فتندفع الى تداول الالفاظ اليسارية ومظاهرها الخارجية في محاوراتها وسلوكها اليومي ، وهي مخدرة بقوى التبعية للنمطية واساليب تعميمها . فان ظاهرة انتشار اليسار ، ليست هي التعبير عن الصحة ، ولكنها البرهان على تحول اليسار الى بضاعة استهلاكية للتعميم وتعزيز النمطية الركودية الاصلية ، سواء ركودية التخلف في العالم الثالث ، او نمطية آلية في المجتمع المتقدم التكنولوجي .

هذا ما نبه صفا جديدا من المفكرين المعاصرين الى اعادة النظر في مختلف اسس الايديولوجيات الثورية على ضوء حقائق العلوم الانسانية المتقدمة ، فان تفجر حركات التمرد الظاهرية والفوضوية والانحلالية فيما يسمى اليوم بالهيبيين واليساريين ( اي مدعي اليسار ) ومختلف حركات التمرد الاخلاقية والجنسية وسواها التي تعم الغرب ، وتتفلفل تحت صور اخرى من احتراف اليسارية في مجتمعات العالم الثالث ، كل ذلك ينبغي تمييزه حقا عن التحرك الثوري الحقيقي الذي يكاد تضيع معالمه تحت صور الانحراف . اذ نسرع آليات المجتمع الصناعي الى تجريد اليسار من قدرته على التعامل مع الظروف والمؤسسات والاشياء وتفجيرها من داخلها وتحوله الى صيرورة البضاعة الاستهلاكية ذاتها . وبذلك تستهلك الفاظ اليسار وطقوسه وتعميماته ومغرياته اللفظية ، تستهلك حقيقته التاريخية وقدرته على الالتحام العضوي مع حركة التجاوز الانساني لنمطيات التعميم الآلي وايديولوجياتها اللفظية .

ومصيبة العالم الثالث ، والعرب من اوضح نماذجه ، انه يستفيق على نفسه وعلى العصر في غمرة سيادة النمطية واستغلالها لمختلف ادوات الاستهواء الجماهيري ، وعلى رأسها الايديولوجيات الثورية . ولا تخدم النمطية في النهاية الا القوى التي يهمها التحكم في سلوك الجماهير ، وتنظيم عقلها وردود فعلها بحسب مصالح الاستغلال الاقتصادي والاقطاع السياسي ، محليا وعالميا .

وبالمقابل تعاني قيادات اليسار المنظم من عوامل الجمود والانبهار وضياع القدرة على التحليل المستقل ، والقبض على مفاتيح الظروف من حولها . وترى نفسها في حصار ضمن تيارات الانحراف التي تفرق جذورها وتطمس معالمها الخاصة ، من ناحية ، وضمن آليات النمطية التي تغذيها انفعالية الجماهير ، واجهزة التحكم الجماهيري في مؤسسات التصنيع للافكار والانماط السلوكية مع بضائع الحياة العصرية المزيفة من ناحية اخرى .

فكأن الثورة عالميا ، ومحليا ، محتاجة حقا الى ثورة ثقافية عارمة ، تعيد لها حرية تعاملها مع افكارها ، وقدرتها على تحليل الواقع المتجدد حولها ،من خلال معطياته الخاصة ، وتتيح لها فرصة القبض على زمام التحرك المنتج على ارض المعركة ، معركة الاشياء ، وليس معركة الالفاظ .

والمجتمع العربي المنحدر عن نمطية الركود الحضاري والبقاء خارج الديالكتيك التاريخي عصوراً طويلة ، تواجه طلائعه الثورية الان ، من خلال ظروفه الخاصة ، وظروف الازمة الثورية العالمية محنة الارتباط بالثورة كنمط ، وليس كتغيير .

ولان الاشياء غائبة من ساحة الوعي في المجتمع الركودي ،فان الاستجابة للالفاظ هي المحرك اليومي بدلا من المحرك الديالكتي . وهذا يؤدي بدوره الى تاخير فرز موضوعي لقوى الثورة ، واذا ما فرزت هذه القوى في مرحلة ، لم نستطع ان نستقطب ذاتها بحسب ظروف الجدلية التاريخية ، لقيام طبقة من الالفاظ بينها وبين حقيقة التحرك التاريخي .

فحول : من هي القوى الثورية في المجتمع العربي ، هل هيقوى قومية او طبقية ، او انها قومية طبقية معا ،ما زال الجدل دائرا ، والضياع بين تلك الهويات اجتماعية الثلاث مستمرا من معركة الى معركة .

وحول طريقة الارتباط بظروف الديالكتي التاريخي ، ما زالت القيادات السياسية والفكرية تخلط ما بين حضور النمطية المتجسدة في جغرافية التراث والواقع اليومي للمعيشة الركودية وبين ظروف التناقض الاجتماعي والسياسي ، والتي يصعب اكتشافها وتحديدها ، وبناء استراتيجية موضوعية على اساسها . ولذلك سادت ممارسة الاستبدال في حقل هذه الثورية ، كما بينا في مطلع البحث .

والاستبدال موقف يعبر عن تجاهل عالم الاشياء ، والاستغراق في عالم الالفاظ ،اي عالم الاشكال النمطية الفارغة من المضمون،سواء كان هذا المضمون فكرة او شيئا ، مشروع تغيير ،او تغييرا حاصلا ويتطلب وعيا يكافيء حجمه ، وتعديلا سلوكيا يحقق تطبيقه في مختلف مستويات العمل الانساني والمادي .

هكذا مثلا فان بناء حزب ثوري هو اداة لمشروع تغيير اجتماعي وسياسي شاملين ، ولكن النمطية لا تلبث حتى تمد اليه نموذجها الخاص من الاروما الركودية ، فاذا بالحزب لفظ جديد لمحتوى نمطي قديم كالعشيرة والطائفة والضيعة ، وايه فئة مغلقة من فئات المجتمع المتخلف ذي البنية الانفصالية المتقطعة الاوصال .

هكذا مثلا فان اقامة نظام سياسي ثوري مهدد دائما بان يستهلكه المحتوى الموجود فعلا ، لمختلف الانماط التعاملية فيالمجتمع الركودي ، وهي انماط الاستغلال الفوقي ، فاذا بهذا النظام الثوري، يغلبه محتوى الاقطاع السياسي التقليدي فيصير الى شعار لفظي فوق حقيقة قديمة . هكذا مثلا ، فان الانتماء لايديولوجية ثورية ،قد يصير انتماء لالفاظسحرية تخفي ارتباطا بدين قديم . فبدلا من ان تصبح الايديولوجية اداة لرؤية علمية ، وتحليل موضوعي ،ومادة لتنظيم حركة التغيير الاجتماعية الشاملة ، فانها تنقلب الى لعبة الفاظ تتطلب تقديسا وعبادة اذ اصبحت غاية في ذاتها فيطقسية السلوك النمطي . وهكذا مثلا تقدم لنا ظروف الديالكتيك التاريخي فرزا لقوى الثورة على اساس وحدوي فنعارضها بالنمطية التجزيئية. وتقدم لنا علاقة موضوعية لصراع التقدم والتخلف ، فنجهضهافي فرز طبقي شكلي .

وتقدم لنا نكساتنا وهزائمنا القومية والعسكرية والثورية، قوى جديدة لتدمير اطر الهزائم السابقة ، وتوليد بنى مؤسسات الواقع الثوري الحقيقي ، كالعمل الفدائي ، والحرب الشعبية المستمرة، فتحول النمطية موت الفدائي الى بضاعة العشائر ، للتحزبات السابقة من فوق موجة المقاومة المسلحة . وتحول النمطية اللفظية شعارات الحرب الشعبية الى جدليات المزايدة بين قوى الاقطاع الثوري القائمة .

وتعود الاشياء الى الغياب كليا ، ولكن تتجاوز اسماؤها كلها في صف واحد ، وتنعقد الفاظها في سلك واحد لان اسم النار يمكن ان يجاور اسم الماء، والنار كشيء، والماء كشيء لا يتجاوران .

تتساوى الالفاظ اذن كلها في نمطية الاستهلاك عن طريق التكرار والعادة والالحاح على ايقاع اللغة ، فلا يبقى من اللغة الا قاموسها ، واما مواقف الجماعة والانسان وهي تحكي وتتحاوروتصبر وتستوضح ، وتسأل وتجيب ، وتعلن وتحدد وتعرف ، وتفضل وتسفه ، تقبل وترفض ، فكلها فاعلية اصوات واشارات في الفراغ .

ولا يقتصر هذا على فعالية السياسة والثورة ، ولكنه الفنوالادب والاخلاق والسلوك اليومي . فهي كلها تشكو انها في فراغ ، وانها قوالب واسماء ، لا محتويات ولا مسميات لها . فالقول مثلا انالثورة الثقافية تبدأ برفض المعتقدات الغيبية في المجتمع العربي يعني في الواقع ، ان نجعل بنية فوقية ضد بنية اخرى ،اي ان وجود مؤسسات التخلف ليست نتيجة للايديولوجيات الغيبية ، في حين ان مؤسسة الدين ذاتها في المجتمع المتخلف هي انعكاس للاشياء والمؤسسات الاكثر مادية واعمق جذرية في بنية المجتمع الركودية .

فالمسالة ليست اذن في استبدال عقيدة بعقيدة اخرى ، اي منظومة الفاظ بمنظومة الفاظ مساوية لها من حيث انها الفاظ معجمية مستقلة عن المواقف وجغرافية الاشياء على ارضية الواقع.

ولكن المسالة هي في اعادة الارتباط بين قوى التقدم وظروف التقدم ، واكتشاف هذه القوى والظروف في لحظة ديالكتيةواحدة. اي البدء بالاشياء لتستطيع ايجاد مدلولاتها ، وبالتالي اسمائها الحقيقية .

ان رفض العقائد المتحجرة والانظمة السياسية المتخلفة أوالثورية المزيفة ، والمناداة بالنموذج السوفيتي او الصيني، او الكوبي، لا يعني ان المجتمع في ثورة ، وان الطليعة الجديدة قد تكونت وان مؤسسات التغيير قد انطلق بناؤها .

بل ان مثل هذه الظاهرة تعني ان الطليعة لم تبدأ بعد باكتشاف ملامح المدخل الى اية ثورية حقيقية ،وهي الثورة الثقافية، اي الثورة على الوجود اللفظي في سبيل الوجود العيني ، ان صح التعبير .

ان المجتمع المتخلف يعيش مادية الالفاظ وليس مادية الاشياء والافكار .وهو يتحرك في فراغ عن العلاقة بالطبيعة الخام ،وبالطبيعة المصنوعة ، ولذلك فانه سجين ذاتية فقيرة مقطوعة عن العالم يغنيها بنمطية الالفاظ ،التي اصبحت اشياء الفكر والعمل معا .

ومولد الثورة في المجتمع المتخلف يكافيء مولد العالم بتحدياته المختلفة ، واجتياحه لاسوار الذاتية السحرية التي حفظت للمجتمع مجرد وجوده المادي الخام ، فيغياب الجدلية التاريخية .

غير انالثورة التي تفجر حضور العالم متحديا للمجتمع المتخلف قد تعادل كذلك مولد العلم ومؤسسة الموضوعية العلمية لدىالغرب، اذ ان العلم الذي نمته البرجوازية الصاعدة في الغرب اقترن بثورتها الاقتصادية كذلك على البنية الاقطاعية . وفي المجتمع المتخلف يستعار العلم من خارج ما دامت أطر النمطية الركودية

تتحكم فيه . فيأتيه بشكل الفاظ ومصنوعات ، ويمتنع عليه كعقل منطقي ومقدرة على تغيير المادة . ولذلك فان الثورة العلمية مقرونة بالثورة الثقافية ،اي ان رفض الوجود السحري اللفظي يعني اعادة العلاقة موضوعية بين العقل والعالم ، بدون توسط زوايا الرؤية النمطية .

وفي اللحظة التاريخية الحاضرة من تولد طليعة جديدة ،فان اكتشاف الثورة العربية لتحديات العالم من حولها ، لا يمكن ان يحدث لا من خلال اطر الايدلوجيات اللفظية ، ولا من خلال قنوات التكون الفئوي السياسي المعهود . انها اللحظة التي تعلن البدء من الاشياء .

وكما قال ماركس عن الانسان انه اكبر راسمال ، فانه يمكن القول ان جذر الاشياء كلها يكمن في علاقة الانسان بمؤسسات الواقع. والذي يهمنا هنا هو الواقع اجتماعي . فالعودة الى اصل الاشياء تعني اكتشاف القوانين الموضوعية لا من خلال الفاظها وشعاراتها ، ولكن من خلال منعكساتها المادية ، التي تعبر عنها مؤسسات الاقتصاد والفكر والاعتقاد والاخلاق والسياسة الخ ..

وهكذا فان تفسير مؤسسة بسواها من المؤسسات ، يعني استبدال منظومة من الالفاظ بمنظومة سواها ، فكيف اذا كانت فعالية الاستبدال مقتصرة فحسب على تغيير الوان مؤسسة واحدة او رموزها الخارجية، وهي المؤسسة السياسية ،فمعنى ذلك ان الطليعة الثورية قد تجاهلت عالم المجتمع بكامله واستعاضت عنه بالظاهرة السياسية وحدها ، التي تنحل في النهاية الى الظاهرة السلطوية . وفسرت الظاهرة السلطوية بنفسها ،اي باستبدال سلطة باخرى .

ومن الواضح ان كل ثورة سياسية تجنح الى تسييس بقية ظواهر المجتمع ، لتصبح معقولة عند ذاتها ،وعند الاخرين ، وعند ذلك تلجأ الى الاستبدال بدلا من التغيير ، فلا نقع الا على رموز الاوضاع . في حين تظل علاقات القوى الاجتماعية الاساسية كما هي ،اي بمنأى عن التغيير . ولكي ينقذ الانسجام الظاهري ، تفرغ هذه العلاقات من محتواها الموضوعي، وتجرد الفاظها ، وتوضع مجاورة للعناوين السياسية المتداولة . وفي النتيجة تعزل حياة الواقع الاجتماعي عن حياة الجدلية التاريخية ، وتظل الاولى سادرة في النمطية ، وتظل الثانية تحديات في الفراغ ، لا جواب عليها .

والواقع ان ازمة العالم الثالث تكمن في ان بنيانه الفوقية ليست انعكاسا موضوعيا لبنياته التحتية ، بقدر ما هي انعكاس لبعض البنيات الفوقية الواردة عليه من خلال نمطيات العصر التكنولوجي منقولة اليه ومشوهة من خلال علاقات التقدم والتخلف . ذلك ان البنيات التحتية في المجتمع المتخلف ، تكاد تعجز عن عكس منظومات ايديولوجية فوقية ، مفترقة عن اصولها التحتية ، فيمكن اعتبار المنشاطات الايديولوجية ، من دين وسياسة وفكر واخلاق وفن ، متداخلة كلها في نمطية الممارسة التحتية للكتلة الراكدة ، وذلك لانعدام او لضعف ارتباط الجدلية الاجتماعية الطبقية بالجدلية التاريخية المادية . فالغالبية العظمى من المجتمع المتخلف ليست محلا انسانيا موضوعيا لبروليتاريا اقتصادية ، بقدر ما هي بروليتاريا خارج الديالكتيك التاريخي المادي ذاته . وتبقى البنى الفوقية محلا لانعكاس ما يرد اليها من نشاطات النمطية الفوقية في الحضارة التكنولوجية ، منقولة اليها عبر علاقات الاستغلال الاستهلاكي العالمي .

ولكن منذ ان انفجرت الثورات الوطنية في اكثر مجتمعات العالم الثالث ، مارست البنى الفوقية المنعكسة عن تفاعل التطلعات الحضارية لدى الفئات المتطورة مع البنى الفوقية للمجتمعات الراسمالية،مارست عمليات الاستبدال لرموز الاوضاع ببعضها بعضا . وبذلك ساهمت في حجز فعالية المجتمع ضمن اقنية النمطية الركودية .

وبعد ان كادت ثورات العالم الثالث تبتلعها الاطر الهجومية المستجدة ،من قبل مراكز الامبريالية العالمية ، فان اللحظة التاريخية المنتظرة لدخول قوى المجتمعات الى حلبة الصراع الديالكتي قد آذنت بتحويل اسلوب الثورة ذاته ، من صراع فوقي جزئي مرتبط بغايات استبدالية لرموز الاوضاع ، الى اسلوب الثورة البروليتارية القومية .

بقي ان استيعاب هذا التحول التاريخي الهام ،بالرغم من توفر ظروفه الموضوعية في حالة الصدام الكياني الراهن بين العرب واسرائيل ، ما زال يعاني من رواسب النمطية الفوقية بفيض من الالفاظ والاوهام ، لمنع ظهور مؤسسة الثورة المادية باداة العنف الجماهيري المباشر . وبالرغم من توفر ظروف العمل العنفي عن طريق طلائع المقاومة الشعبية المسلحة المجسدة في العمل الفدائي ، فان ادوات الالفاظ تحاول ان تحتفظ بدورها في اجهاض ادوات العمل الحقيقية .

ان انماء الوحدة العضوية للعمل الثوري لفكر تقدمي موضوعي وتحرك جماهيري منظم ، وبناء تحديثي شامل لمؤسسات المجتمع المتطور ومواجهة استراتيجية تعبوية لحرب الوجود او عدم الوجود مع اسرائيل ،هو المنظور التاريخي الذي يجب ان تتحرك بموجبه عملية اعادة النظر لصيغ العمل الثوري، كمؤسسات موضوعية تواجه الاشياء بمواقف قادرة على تغييرها و،ليس باجترار مسمياتها اللفظية .

وكل ما تستطيع فعله الثورة الثقافية العربية هو التبشير بوجود عالم الاشياء ، والبحث عن اساليب تغييرها ، بدلا من الدوران في عالم الذات اللفظية من ضمن اقنية البنى الفوقية لظلال بنى فوقية اخرى ، تأتينا من عالم الاستغلال الاستهلاكي .

ان انبثاق الوجود الجماهيري وادخال تحركه في سياق الصراع الجدلي التاريخي هو في حد ذاته اول نتائج الرد الثوري على تحديات الوجود او العدم الذي تعانيه البنى الفوقية المستعارة لتنهار وتبرز تحتها بنى الاشياء ومؤسساتها الاجتماعية والمادية وجها لوجه امام تلك التحديات .

ذلك وحده طريق تحطيم النمطية الركودية في ذات المجتمع العربي، وطريق مقاومة النمطية التكنولوجية الواردة مع تحديات البقاء او عدم البقاء في حلبة صراع مع ذروة هذه التحديات متمثلة في الصراع الحضاري ، وصراع المواجهة المادية مع اسرائيل .

فما لم يوجد بعد انما هو ثورة الاشياء تحت ثورة الالفاظ !

**مطاع صفدي**